

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
عن المدة ١٥ مليا
الاعتمادات
يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة البحوث الفكرية والعلمية والفنية

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السنول
أحمد الزيات
الدارة

دار الرسالة بشوارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

المسدد ٥٥٤ » القاهرة في يوم الإثنين ١٩ صفر سنة ١٣٦٣ - الموافق ١٤ فبراير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

من مآسى هذه الحرب

أنجل ، هي مأساة من مآسى هذه الحرب وإن وقعت في قرية صغيرة لأسرة فقيرة . فلا تقل أين (منصور جراد)^(١) من (استالين جراد) ، ولا أين خمسة نفر أهلكهم الجوع من ملايين طعنهم رحاً عرّض شرفها كمرض السماء والأرض ؛ فإن الموت في معركة الدبابات ، كالموت في معركة الزهور . والشقاء الذى يكرب أنفاس أسرة ، هو بيمينه الشقاء الذى يفدح كواهل أمة . والموت لا يقاس أثره باتساع ميدانه وانتشار مداه ما دامت الجماعة لا تحمه إلا إحساناً جزئياً في كل فرد منها . والفرد مهما قوى شموره لا يدرك من بحيرة الدم غير القطرة التى تسرى فيه ، ولا من أطنان القنابل غير الشظية التى تفتك به

ما أظنك نسيت صديقنا الشيخ منصوراً ومواقفه الجريئة من أصحاب الضياع والألقاب ، أيام الانتخاب لمجلس النواب ؛ فقد كان في جرأة قلبه وعزة نفيه مثل الفلاح المؤمن بعظمة الله وكرامة الإنسان وحقارة الدنيا ؛ وكان كما علمت من وصفي لإياه قد تماظمت في نفسه الحرية حتى احتقر المالك ، وألحت على

(١) جراد منهاها بالروسية بلد أو مدينة ؛ فاستالين جراد : مدينة الزعيم ستالين ، ومنصور جراد من باب المشاكسة بلد الشيخ منصور

الفهرس

- ١٤١ من مآسى هذه الحرب ... : أحمد حسن الزيات ...
١٤٢ الرغيف ... : الأستاذ جليل ...
١٤٥ أخبار أبي تمام ... : الدكتور زكي مبارك ...
١٤٧ كتاب الفخيرة ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
١٤٨ نقد على محمود طه ... : الأستاذ دويخ خبطة ...
١٥١ الطيبة توحى والشاعر ينطق : الأستاذ محمد عبد التلى حسن ...
١٥٢ من إنجاز أنفركان ... : الأستاذ محمد أحمد النبراوى
١٥٤ أحزان الوحدة [قصيدة] : الأديب عبد الرحمن الحنبسى
١٥٥ جيل بئنة ... : الأستاذ عبد القدوس الأنصارى
١٥٥ (١) بين حدة والنزاع : الأستاذ برهان الدين الداغستاني
١٥٦ (٢) قيس لبي وعبد الله بن عبد الله بن عتبة
١٥٦ الشيخ محمد عباد الطنطاوى : الأستاذ سعيد الأنفاني ...
١٥٦ إلى الأستاذ قدرى طوفان : الأستاذ إبراهيم السيد عثمان
١٥٦ لاستدراك ... : الأستاذ عمى الدين السامرائى
١٥٦ جيلة تحت ظلال الأرز [قصة] : الأستاذ حلمى مراد ...

جسمه السلامة حتى سئم المافية ، وفرت عن قلبه المموم حتى ألف السعادة

هذا الرجل الذي كان شخصه يتميز في الزحام من أبعد ، قد استمرت على معرفته وهو أمي ! لقد ذرى ذلك المحيّا النفس ، وتهدم ذلك الجسد الوثيق ، وتحدد ذلك العضل المكتنز ، وتجرد ذلك الهيكل الريان ، حتى ليخفق جلبابه على أرواح !

لقد انقطع علم ما بيني وبينه منذ دهر طويل ، وكان آخر العهد به لقاء ضاحك في بعض قرى الريف وهو على حاله تلك من الوثاقة والطلاقة والصحة ؛ فلما علم أني قدمت المنصورة في هذا الأسبوع جاء زورني متحاملاً على نفسه . فلما أقبل على أنكرته أول ما رأيته ، ثم لم ألبث أن عرفته بما بقي من سباه على وجهه . فصاحته وأحسن لقاءه ؛ ثم دعوته إلى الجلوس فسقط بجانبى على الكرسي كما يسقط كيس من المظلم على الأرض . وعقل الدهش لساني فلم أسأله عن أمره . وحدث هو ما يمتلج في نقمى من الخواطر فقال بصوت غير صوته ، ولهجة غير لهجته :

— لعلك ظننتني خارجاً من المستشفى ، أو بالجرى مبهوماً من القبر ! ليت ما بي كان المرض ، فقد يكون للمرض دواء ! وليت ما بي كان الموت ، فقد ينحسم بالموت الداء ! إنما هو جسم يذوب في نار من المم لا تحبى ، وروح ترهق في حشرجة من الكرب لا تنقطع !

— إذن أنت يا صديقي حزين ؟

— إذا كان لفظ الحزن يبر عن هذا الدوبان الدائم وذلك

الاحتضار المتصل فأنا حزين

— هل فقدت عزيزاً عليك ؟

— لقد فقدت كل عزيز على !

وهنا خاف الجلد فلم يستطع السكين أن يملك دمه . فلما هدأت نفسه وراجع صبره قال :

— أنا في حياتي ما شكوت ولا رجوت ، ولكن الخطوب

التي قوّضت ركني وسوّدت حياتي هي التي أكرهتها على أن أشكو وأرجو ؛ وذلك وحده خطب الخطوب

كان ذلك في شتاء سنة ١٩٤١ ، وكان لي عامئذ زوجة غليظة وابنة عزيزة وثلاثة شباب برزة . وكنا نحن الستة ، ومثنا بقربنا العاملة

الحلوب ، وحارنا الفاريه الدهوب ، وكابنا الحارس الأمين ، لا نفترق ولا نختلف ، ولا نرى الدنيا إلا في بيتنا وحقلنا ، ولا نجد اللذة إلا في لباسنا وأكلنا . فإذا جار المالك علينا في القسمة ، عدل الله فينا بالعوض . وإن جرى القضاء علينا بما نكره ، انتهى الصبر بنا إلى ما نحب . حتى أزمّت هذه الحرب الناس ، فضاق الرزق ، وامتنع الوارد ، وارتفعت البركة ، وفشا المرض ، وأعوز الداء ، واختزن الملاك ما تبنت الأرض ، واحتكر التجار ما تجلب السوق ، ففحش الغلاء ، وطُفّف الكيل ، حتى أصبح الأجير يعمل الأسبوع كله ليشتري كيلة من الذرة إذا وجدها . ثم قضت سياسة التكوين أن تشتري الحكومة مقداراً من القمح مفروضاً على كل زارع . وقضى الله الذي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ألا تزيد غلة أرضي على حصّة الحكومة عندي ، فنقلت على حاري ما في الجرن إلى بنك التسليف ؛ وحجز المالك ثمن القمح استيفاء لبعض إيجاره ، فخرجت صفر اليدين من النقد والحب ، فلا في الجيب ولا في الخزن . ولكننا يا سيدي أحياء ؛ والحي لا مناص له أن يأكل . فقامت أنا وزوجتي وابنتي على زراعة الأرض ورعى البقرة ، واشتغل بتيّ الثلاثة أجراء غند الناس ، فكنا نجتمع أجرهم في كل ثلاثة أيام لنشتري بها كيلة واحدة . وماذا تصنع الكيلة من غير إدام في ثلاثة أيام لسته أفواه ؟

على أن هذه الحال لم تدم ، وليتها دامت ! فقد نفدت الحبوب من القرية ، وحرّم على الناس نقلها من بلد إلى بلد ، فكثت أقبض أجرة أولادي في المساء ، ثم أذهب إلى المنصورة في الصباح ، فأشتري بها من الخبز المخلوط ما لا يسمن ولا يشبع . وعلى هذا النمط النسابي من سوء العيش قل الغذاء ، وكثر العمل ، وبلى الثوب ، واتسخ الجسد ، واعتلت الصحة . ووفدت على القرية حتى التيفوس فلم يجد مناعة في جسم ، ولا وقاية من نفاثة ، فأودت بيّ الأرملة واحداً بعد واحد . ونجت منها زوجتي لتندبهم في الثواكل حتى لا يترك أولادي الحياة من غير عرس ولا مأتم . ثم أمعن القدر في ابتلائه : فانتشر في الماشية وباء التسمم الدموي ، فنفتت البقرة ، وهلك الحمار ، وأصبحت الدار والحدثة خلافاً مما صأى وصحت ! أما بقية القصة فإنك تقرأها الآن في وجهي . وإذا جاز أن يكون مثلي بعد ذلك رجاء ، فاني أرجو من الله الموت ومنك الكفن ! ...

صديق الزمير

الزغيف لأستاذ جليل

الزغيف فرزدقا^(١) كان ، أو كان من السميزد الحواري^(٢)
هو معضلة العالمين كلهم أجمعين منذ أن نجم الكائنات الأولان
اللذان سماهما الأستاذ الأكبر (إرنست هيكل) :

«Protiste, monère»^(٣)

ومنذ أن ظهر آدم ونوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها
فلهذا الزغيف يعمل العاملون ، ولهذا الزغيف يخاطر
المخاطرون ، ولهذا الزغيف يتقاتل هؤلاء المتقاتلون ، ولهذا
الزغيف يصنف العلماء ويخطب الخطباء ويكتب الكتّابون
«ما صنف الناس العلوم بأسرها إلا لحيلتهم على تحصيله»
ومن كان لا يقبل «المقالة» إلا ومعه الشاهد والثلل وبيت
الشعر فليستمع إلى هذه الأحاديث «الأماليح الأفاكية»
وليكن لها من الواعين ، فإنها من عيون الأحاديث أو أعيانها^(٤)
كما يريد موهوب الجواليقي

• في جميع الأمثال للميداني :

لولا الخبز لما عبد الله^(٥)

• في «رد الأكباد في الأعياد» للشعالي :

(١) الفرزدق : الزغيف يسقط في النور ، وتنت الخبز ، قال
السان : أصله في الفارسية برازده ، والمجد في قاموسه يقول : أو هري
منحوت من فرز ودق لأنه دقيق أنرز منه قطعة ، وتقول المحدثين مجد ..
(٢) السميزد والحواري : لباب الدقيق وأجوده وأخلصه
(٣) يراجع في شرح هذين النقطتين العلامة الأستاذ إسماعيل مظهر
(٤) قال في (شرح أدب الكتاب) : هي من الحديث مختاره ،
وقد عيب ذلك عليه ، وقيل : الصواب أن يقال أعيان الحديث ، (قلت)
قوله ابن تينبة صحيح ، ولما استعمل (أعيان الحديث) أدب
(٥) قالوا : إن كان جواب لولا مثبثا قرن باللام غالباً ، وإن كان
منقياً عما تحمده عنها غالباً ، وإن كان منقياً عما لم يقرن بها (قلت) ربطاً
بالتنقيح باللام في الشعر والنثر أكثر من الكثير

أبو الدرداء الكلوذاني : الدنيا تدور على ثلاث مدورات :
الدينار ، والدرهم ، والرغيف

* في «فتوح البلدان» للبلاذري :

قال كثير بن شهاب يوما : يا غلام ، أطمعنا ، فقال :
ما عندي إلا خبز وبقل .

فقال : وبمك ! وهل اقتلت فارس والروم إلا على الخبز
والبقل ؟

* في (الفتوحات المكية) لابن عسبري^(١) :

إذا غابت ذا سير حيث فذاك السير في طلب الرغيف
له سلوا وصاموا واستباحوا دم الكفار والبر المغيف
له تسمى الطيور مع الواشي له يسنى القوي مع الضميف
* في (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) للشعالي :

قال خلف الأحمر : كنت أرى أنه ليس في الدنيا رقية أطول
من رقية الحية ، فإذا رقية الخبز أطول منها . يعني ما يتكلفه
الإنسان من النظم والنثر والتأليف والخطب لطلب المال
* قال الشافعي :

لا تشتشروا أحداً لا يكون في بيته دقيق ؛ فإن عقله زائل
* حكى عن محمد صاحب أبي خنيفة قال : كنت ذات يوم
جالساً وكتب الفقه مطروحة أولفها ؛ فجاءت خادم إلى وقالت :
قد فني الدقيق ، فذهب عن خاطري خمس مئة مسألة مما كان
نصب عيني وأزوت إبداعها الأصول ، فذكرت منها شيئاً
بعد ذلك

• في «نهاية الأرب» للنويري :

قال جعفر الكاتب : قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر :

إذا كانت في جيرانك جنازة^(٢) وليس في بيتك دقيق فلا تحضر
(١) تنج الطيب كان بالمغرب يعرف بابن الرن بالألف واللام
واسطرح أهل الشرق على ذكره غير ألف ولام فرقاً بينه وبين أبي بكر
ابن العربي

(٢) في هذه الكلمة وأصلها وتفتح جيمها وكسره أقوال كثيرة :
في البيان والتاج : قد قيل هو نبطي . وفي السان : الجنازة بالكسر
اليت يسريرة وقيل بالكسر السرير والتفتح لليت . قال الفارسي لا يسي
جنازة حتى يكون عليه بيت ولا فهو سرير أو نبط
في المجهرة : جئز القوي ، أجززه جزراً إذا ستره وزعم قوم أن منه
أشبه في الجنازة ولا أدري ما صحت

لما فتحت العرب بلاد فارس ، ورأت ما لم تكن عين عربي
قد رأت ، وذوقت الطعام اللذ الشهى (الدجاج المسمن بكسكر^(١))
والجرجاج^(٢) بالسمن والسكر) (الشواء الرشراش والغالوذ
الرجراج^(٣)) قال عربي وقد طعم الغالوذ : والله لو لم تقاتلهم
إلا على هذا لقاتلناهم عليه . وقد أمسى القوم بعد ذلك شواقيين^(٤)
ومن العجيب — بل ليس من العجيب — أن هذا
(الرغيف) قلما يقتنصه المرء حلالاً . ولذلك قال الحسن
البصري : لو وجدت رغيفاً من حلال أحرقتة ثم سحقتة ، ثم
جعلته ذروراً^(٥) لأداوى به المرضى^(٦)
(* * *)

(١) كسكر : بلد بسواد العراق ينسب إليها الدجاج الكسكى
(٢) الجرجاج : الغالوذ الذى يتجرجج ، والقول فى كلام الزمخشري
فى مقاماته .
(٣) فى كلام أبى بكر الخوارزمي
(٤) الشولق : الحب للعلاوة اولع بها
ومن الأحاديث الموضوعة : (المؤمن حلوى والكافر غمرى) ، قال
الحافظ بن حجر : لا أصل له (كشف الحفاء ج ٢ ص ٢٩٢)
(٥) الذرور : ما يذر فى العين وعلى القرع من دواء يابس
(٦) فى كتاب كتمان السر وحفظ اللسان للإمام الجاحظ : قال عمرو
ابن عبيد : أعتقنى ثلاث خلال : تركى ما لا يسننى ، ودرم من حله ، وأخ
إذا احتجت إلى ما فى يديه بئله لى .

تطبيع فى طافات ربحانه

جاء (الدواوين العامة) وهى العامة ، و (إلى أن ترزق حتى) وهى
إلا و (أعمارها عده أعمارم) وهى بئدة .

لا أومن بالعقل

بقلم محمد العمادى

معالجة لمائل الخير والشر والحق والباطل . فلسفة جديدة
قامت على عدم التعصب لنتائج العقل وتصوير الحواس
يطلب من مكتبة الفكر الحديث بشارع خير ، ومن مكتبة
النهضة المصرية بشارع الدابغ ، ومن جميع المكتبات الشهيرة
بالقاهرة .
الثنى ١٠ قروش . ورق أبيض مقبول . النسخ محدودة

الحنارة ؛ فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم ، وبيتك أولى
بالأثم^(١) من بيتهم

* فى ديوان « ابن هانى الأندلسي » :
ولذا صار كل ليث هزبر قائماً من زمانه بالرغيف
* فى شرح النهج لابن أبى الحديد :
لولا ثلاث لم يسئل سيف : سلك أدق من سلك ، ووجه
أصبح من وجه ، ولقمة أسوخ من لقمة
* فى كامل المبرد :
كان مالك بن أنس يذكر « قلت : أربعة من عظماء هذه
الامة » فيقول : والله ما اقتتلوا إلا على التريد الأعفر^(٢)
* سمع جعظلة قول الشاعر :

وإذا غلا شئ على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا
فقال :

إلا الدقيق فإنه قوت لنا فإذا غلا يوماً فقد نزل البلاء
* فى شرح النهج لابن أبى الحديد :

توصل عبد الله بن الزبير إلى امرأة عبد الله بن عمر فى أن
تكلم بملها عبد الله فى أن يبايعه ، فكلمته فى ذلك ، وذكر
صلاته وقيامه وصيامه فقال لها : أما رأيت البغلات الشهب^(٣)
التي كنا نراها تحت معاوية بالحجر^(٤) إذا قدم مكة ؟

قالت بلى

قال : فأياها يطلب ابن الزبير بصومه وصلاته

* فى مقامات الهمذاني :

ساخف زمانك جداً إن الزمان سخيف
وقل لعبدك هذا يجهلنا برغيف

* * *

(١) الأثم : شره طويل وقد غلب عند العامة على المصيبة والناحة .
فى الراج : قال أبو بكر : العامة تظلم فتظن أن الأثم النوح والنياحة ،
والأثم النساء المجتمعات فى قرع أو حزن . قال ابن برى : لا يمنع
أن يقع الأثم بمعنى الناحة والحزن والنوح والبكاء لأن النساء لذلك اجتمعن
(٢) العفرة يابس ليس بالمطلس ، والأعفر : التعرير البهيم
(٣) فى الصباح : التسمية أن يغلب اليباس السواد ، وبئله أشهب
وبئله شهباء .
(٤) الحجر اسم للحائط المستدير إلى جانب السكبة الغربى .

مسابقة الادب العربي

٢- أخبار أبي تمام للدكتور زكي مبارك

أقول مرة ثانية ، وسأقول ألف مرة ، إن هذا الكتاب شغلني وألهاني عن المهم من شؤوني ، ولو كان الورق موجوداً على نحو ما كان قبل الحرب لرجوت وزير المعارف أن يشير بتوزيعه على جميع التلاميذ ، ليخلق فيهم الإيمان بالأدب ، وليشعرهم بقوة الروح عند أسلافنا الأجداد

وقد كتب الأستاذ الجليل إسعاف النشاشيبي مقالا عن هذا الكتاب في مجلة الرسالة في أعقاب ظهوره ، فليراجع الطلبة مجموعات الرسالة^(١) بمكتبات المدارس الأميرية لينتفعوا بمحصل ذلك المقال

مدرس أبي تمام

نواجه الموضوع بعد تردد وتريب ، لأنه أخطر من أن يدرس بمثل هذه السرعة في الدرس ، ولأن أبا تمام أعز من أن نطوف بأشعاره متعجلين

كانت النية أن أولف كتابا عن عبقرية أبي تمام بعد كتاب عبقرية الشريف الرضي ، ولهذا حججت إلى قبرة بالموصل لأسلم عليه ، فعليه وعلى روحه الفنان ألف تحية وألف سلام !

وهل أنسى ما صنعت مع هذا الشاعر قبل سنين تزيد على العشرين ؟

أنا أذكر أن في كتاب البدائع حديثا هو عتاب على الحكومة العراقية في اهتمامها بقبر أبي تمام ، وإغفالها نشر ديوان أبي تمام بصورة تليق بمكانته في التاريخ الأدبي

ويظهر أنني أقول أكثر مما أقفل ، فقد مضت أعوام ولم أؤد الواجب نحو هذا الشاعر العظيم ، فلم يبق إلا أن أرجو مدير جامعة فاروق الأذل أن يعنى الأستاذ محمد عبده عزام من التدريس

(١) السنة الخامسة ، العدد ٢٢٥ من ١٧٥٦ ، والسنة السادسة

سنة أو سنتين ليصحح ديوان أبي تمام تصحيحاً يرفع عنه آصار اللبس والتحريف

ولأبي تمام علينا حقوق ، فقد نشأ بمصر ، وتنسم هواء القسطنطينية ، وسمع من علماء مصر بجامع عمرو ماسع ، فنبغ روحه نبوغا سبق على الزمان إلى أبعد الآمال وأين الموضوع الأسيل ؟

أرأني أهرب من مواجهته ، كأنه فوق ما أطيق ! أنا أريد أن أقول إن لأبي تمام مدرسة شعرية ، وهي المدرسة الثانية في الأدب العربي ، وهي أوضح من المدرسة الأولى ، والكلام هنا مقصور على العهد الإسلامي ، أما العهد الجاهلي فله مدرسة يختصم في رياستها شاعران عظيمان ، هما زهير ولييد ، ومع احترامي لزهير صاحب الحوليات فأنا أعظم أن معلقة لييد هي أعظم قصيدة جاد بها الروح العربي ، وأما أتمجب من أن يتناسى مؤرخو الأدب منزلة لييد مع أنه أعظم من امرئ القيس بمراحل طوال

أترك هذا الاستطراد وأذكر أن المدرسة الأولى في العصر الإسلامي كان فيها فصلان أساسيان : أحدهما خاص بالثورة على الأخيلة البدوية بإشراف أبي نواس ، وثانيهما خاص بالفن الشعري بإشراف بشار ، وهو أعظم الفئتين بين القدماء

ولا موجب للنص على منزلة مسلم بن الوليد ، فهي أوضح من أن تحتاج إلى إيضاح ، فقصيدته الدالية هي أشرف ما جاد به عصر بشار وأبي نواس

ومسلم بن الوليد هو الصورة التي تأثر بها أبو تمام ؛ فقد حدثنا الأستاذ محمد المهدي في محاضراته بالجامعة المصرية أن أبا تمام وضع المصحف بين يديه وأقسم أن لا ينال طعما ولا شرابا إلا بعد أن يحفظ ديوان مسلم بن الوليد

ومن مجد مصر أن ديوان هذا الشاعر نُشر أول مرة في مدينة دمياط

أبو تمام العربي

أراد ناس أن يشككوا في عربية أبي تمام ، ونسبوا

الدكتور طه حسين ، والدكتور طه رجل منصف ، ولهذا أرجوه أن يسمع حديثي

التشكيك في نسب أبي تمام بدعة قال بها المتأخرون من المستشرقين ، وهي بدعة لا تستند إلى أي برهان ، فقد أجمع القدماء على أن أبا تمام هو الطائي الأول وأن البحترى هو الطائي الثاني

أبو تمام العربي هو رئيس تلك المدرسة الشعرية ، وهو الرئيس الذي عجز عن مجاراته ابن الرومي

شعر العرب للعرب ، فما ابن الرومي وما شعره وقد عجز عن الظفر بالموسيقا الشعرية ؟

أبو تمام العربي هو رئيس المدرسة الثانية في العصر الإسلامي ، وقد جعل شعره وصلصل ، وامتد صوته إلى آفاق يعجز عن اجتيازها الخيال

وأبو تمام مظلوم أقبح الظلم في هذا الزمن الظالم ، فقد قال أحد الناس إن شعره من رأسه لا من قلبه ، وقال آخرون إن شعره خال من تعدد الألوان

والحق كل الحق أن فن أبي تمام جنى عليه ، فقد تصوره بعض بني آدم رجلاً لا يحسن غير التتميق ، مع أن صياغته الروحية تفوق صياغته الفنية ، ومع أن معانيه فوق ألفاظه بمراحل بعيدة ، وإن اشتهر بزخرفة الألفاظ

هذا الرجل زلزل معاصريه وأوقعهم في فتن دامية ، ولم يمت إلا بعد أن مرغ خصومه وأرداهم أعنف إرداء

حدثنا الأستاذ محمد المهدي في محاضراته بالجامعة المصرية أن أبا تمام أدخل ثلثمائة شاعر في زمانه بلا قصد وبلا نية ، لأنه كان نصيراً لجميع الشعراء ، فما قال قائل إن هذا الشاعر العظيم وجه إلى أحد معاصريه أي إيذاء ، لأنه كان غنياً بفضلته كما قال أستاذنا محمد المهدي

وروح أبي تمام خلق دولة من الأدب ، ولله السبب في قتل الشريف الرضي وأبي الطيب المتنبي ، فقد أراد هذان الشاعران أن يحملا اسمه بجهود عنيفة لا يستطيعهما إلا من يكون في مثل قوة الرضي والمتنبي

وأنا متردد في الفصل بين هؤلاء الشعراء ، فالشريف الرضي كانت له غاية واضحة هي السيطرة على الخلفاء في بغداد ، والمتنبي كان يريد أن يظفر بمكانة في الديار المصرية ، كأن يكون خليفة دعبل في مدينة أسوان

لم يلتفت أبو تمام إلى شيء من أعراض الدنيا الفانية أو الباقية ، وإنما التفت إلى الفن الشعري ليرقم اسمه فوق جبين الخلود

أبو تمام مظلوم ، فما التفت أحد إلى شعوره بالحياة ، ولا عرف أحد أن اهتمامه بالألفاظ لا يقاس إلى اهتمامه بالمعاني والجاهلون من مؤرخي الأدب العربي لا يعرفون إلا سمة واحدة من سمات أبي تمام ، وهي غرامه بالزخرف اللفظي ، مع أنهم سمعوا أنه كان من رجال المعاني ، بدليل أنه صنّف « ديوان الحاسة » تصنيفاً يشهد بأنه من أصحاب الأذواق .

إلى طلبة السنة القوميرية

أنا تميت في توجيهكم يا أبنائي ، ولا يميزني إلا الشهور بأنكم ستنتهيون جوائز وزارة المعارف

هذه المقالات هي المفتاح للخزانة التي يحرسها جنود صناديد ، وقد كسرت تلك الخزانة بيدي لأقدم إليكم أسئلة الامتحان ، ولوزير المعارف أن يعطيني على إذاعة أسئلة الامتحان

تذكروا ثم تذكروا أنكم ستسألون عن مدرسة أبي تمام الشعرية ، وأنكم ستسألون عن العصر الذي عاش فيه أبو تمام ، وأنكم ستسألون عن شعور أبي تمام بروح الوجود

لا تخافوا من الأسئلة ولا من الأجوبة ، فالمصححون آباؤكم الروحيون ، وهم سيفرحون بالقليل من الصواب ، ولو جاء في سطرين اثنين

وزارة المعارف تنتظر من ينهب جوائزها الغالية ، فأنهبوها ، انفرح بكم ، كما فرح الطائر الذي تحدث عنه ميسيه في إحدى قصائده الخوالد . إنهبوا وزارة المعارف ، أنهبوها ، فهي تشتهي أن أنهبوها ، وما تحب وزارة المعارف إلا أن يكثر الطامعون في جوائزها الغالية .

نكح مبارك

كتاب الذخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

أخي الأستاذ محمد عبد الغني حسن

اطلعت في مجلة الرسالة على مقال الأستاذ عن كتاب الذخيرة الذي تخرجه كلية الآداب

وإني أبدأ بالاعتذار عن تأخير جواب الأستاذ حتى اليوم . وعذري أني اطلعت على مقاله وأنا على أهبة السفر إلى فلسطين . فاضطرت إلى إرجاء الإجابة حتى أعود إلى مصر . وعدت مستقبلاً أشغلاً متتابعة هونت على نفسي هذا التفسير وليس بهين .

وأثنى بشكر الأستاذ شكرياً مضاعفاً على كلفته في التتطف وكلفته في الرسالة ، إذ أثنى على ناشري الكتاب وحمد لهم عملهم وأحسن الظن بهم

وأثنت بآني عند ظن الأخ سعة صدر للنقد، وارتياحاً للحق . وأن للناقد الفاضل عندي جزاءه من الثناء والشكر بما اهتم بالكتاب ، وقرأه . قراءة مدققة ، ثم أهدي إليها ثناء وعرفنا مأخذه . ونحن ما عشنا طلاب علم و « إنا العلم عند الله » . وقد لقينا نصيباً في قراءة الخطوط القريبة المختلفة ، ومقابلة النصوص المحرقة ؛ وكنا ندرك بعض خفاياها أحياناً بضرب من الإلهام .

وبعد فأكثر هذه المأخذ كما يعلم الأستاذ زلات طبع . والأخ من أخبر الناس بها . ولي حديث عنها سيقروا إن شاء الله في مقدمتي لديوان أبي الطيب التتبي الذي سيخرج للقرء عما قليل . وأحسب الأستاذ قد تنبه إلى أن كلفته في الرسالة في لم تخل من هذا التحريف المطبى . فقد وقع فيها دُورين ، والصواب فتح النون . ووقع فيها من ٢٣٦ ، والصواب ٣٣٦

وقد أكثر الغلط المطبى فضول في الشكل ، وذلك أن الأستاذ المشرق الذي شاركنا في فائحة البمل قال : إن

المستشرقين يصعب عليهم أن يقرأوا الكلام غير المشكول فلا بد أن يُشكل الكتاب شكلاً كاملاً ، ورأيت أنا من بعدُ ألا يُشكل إلا مواضع اللبس ؛ ولكن زملاءنا الذين يشرفون على الطبع لا يزالون في إشار الطريقة الأولى ؛ فأسرفوا في الشكل وأدى الإسراف إلى شيء من الفضول ، وأوقعهم الفضول في مثل : ومن أجلى قتلوه ، والصواب فتح النون كما رأيتم . إنا ينبغي أن تشكل النون في هذا الوضع إذا عدل بها إلى الفتح فإن كانت ساكنة فليست حاجة إلى وضع السكون على النون ولو كان صواباً

وكذلك النون في قول الشاعر : وخذ على الريق من أسبابه . والصواب الفتح . وأما البيت :

لما رمته العيون ظلالة وأثرت في جماله الحدق والبيت :

فكم صاغتني في مناهي المني وكم هب عرف القوي عرفاتها فقد صححنا في الجدول آخر الكتاب

وأما ابن فتوح فقد شدد مرة ثم رجحنا التخفيف فجرنا عليه وكان ينبغي أن ينبه على هذا في جدول الغلط . وأما العبارة : فقلت لها يا قلبها أحديد أنت أم حجر فهي شطر بيت فزيد عليه الجملة « فقلت لها » . وأظن الكاتب لم يرد غير هذا . وهذا الشطر عثرنا عليه في الموشى (ج ١ ص ٧٨)

شكوت ما بي إلى هند فما أكثرت

يا قلبها أحديد أنت أم حجر وأما قول الأستاذ ضبطنا الفعل « مت » بضم الميم والأعلى كسرهما ، كما في قراءة حفص ، فجوابه أن قراءة حفص فيها الهم أيضاً في الآية « ولئن مُتَّ أو قُتِلَ لَأَلِيَّ الله تحشرون »

وقد أخذتم مأخذين في « أن » إذ وجدتم الهمزة فوق الألف فقرأتموها مفتوحة وصوبتم الكسر ، والحق أن مصححي الكتاب يسمون الهمزة المكسورة فوق الألف أحياناً ويتركون الفتح والكسر للشكل : ولست أبارى في أن التفريق بين الكسر والفتح بموضع الهمزة من الألف فوقها أو تحتهما أحسن إذا جرى الاصطلاح عليه

نقد على محمود طه

للأستاذ دريني خشبة

وأخيراً نسل ممّا ، أو أصل وحدي ، إلى الناحية المظلمة
من على محمود طه ، شاعرنا الرقيق الناب ، بعد أن جد بنا المسير
تلك الناحية المظلمة التي لا يجيد كثير من القراء الظالمين
أن يبصروا إلا فيها ... وهي ناحية تسهل الكتابة فيها أكثر
مما تسهل الكتابة وتسلسل في الناحية المقابلة ... الناحية المشرقة
الزاهية ... التي تعني بالحسنات ، أضما ما تمنى بالسيئات ...
« من السهل جداً يا صديقي القاري » ، سواء أ كنت ناقداً
أم راضياً ، أن يتناول الإنسان أحسن الأعمال الأدبية فيردها
سواءً كلاً ... ومن السهل جداً أن يغمض الإنسان عينيه
عن أعجاد الكاتب أو الشاعر ، فلا يرى إلا ظلمات يتدجى بعضها
فوق بعض ... وقد عاهدت نفسي ألا أقع في هذا الظلم الأدبي
المصارخ وأنا أقعد أحداً من أعز الناس على أدياننا المصريين ...
بل أدياننا العرب أجمعين ، فرب ثناء يصادف عمله ، فيكون
تزكية للبقية الكامنة التي تستحق الثناء وتستأهل ... ويكون

والبيت :

لم أر أن أكون من رواه إذ هو محدود في هنائه
غير متزن كما قلتم ؛ وأحسب صوابه : إذ هو مما عدّ في هنائه
وأما قول القائل : « إن لم أجد التأين ، فأجد البكاء والحزن »
فنحن نوافقك على أنه ليس من مواضع فاء الجزاء ، ولكن لم نستبح
تفسير الكلام وكان ينبغي التنبيه عليه كما قلتم

وبقية الأغلاط الواضحة مثل الكسرتين تحت لام الجهل
مع ألف التعريف ، ومثل الرخصاء مكان الرخصاء في بيت
الحفي ، وابن حجر مكان ابن حجر ، فعي من الهفوات التي
لا تدرى كيف وقعت ، ولكننا ندرى أنها لم تقع إلا سهواً من
الطابع أو المترن عليه الخ

وأكرر للأستاذ اعتذاري وثقائي وشكري .

هـب الوهاب عزهم

سبباً في أن تفعل هذه البقرة الأفاعيل ... ورب قدح ظالم
لا خير فيه ، يسميه صاحبه تقدماً وما هو بنقد ، لكنه سم
يسرى في بنيان نهضتنا فيثبط الهمم ، ويفت في العزائم ، ويحطم
الآمال ... وكنت أعتنى ألا أكتب هذا المقال في نقد
على محمود طه ... لأنني مهوا اجتهدت في تلقف ما أقده به ،
وأخذه عليه ، فلن أفوز إلا بهنات هينات لا يمكن أن تنال
مطلقاً من شاعريته التي نهضت ، أو من فنه الذي اكتمل
وربما تركت أكثر دواوينه ، فلا أعرض لها إلا من بعد ،
وفي مناسبات قليلة ، حيناً أضطر إلى ضرب الأمثال للملاحظات
التي أسوقها فيما يلي ... ربما تركت أكثر دواوينه إذن ...
لأفرغ لمنظومته « أشباح وأرواح » ... تلك المنظومة التي
كان من المسير على فهمي الضيق أن يل بها ، بالرغم مما كنت
أهيم به من قراءة الأساطير ، ومصاحبة هوميروس وأبولونيوس
وثرجيل وأبي الملاء وابن شهيد ودانتي وملتون ، وطول مداعبة
خيالي لأخييل وبيروكلوس وأوديسيوس وأجاكس وهكتور
وباريس ، وإنياس وابن القارح ، وزهير بن نعيم ، وبياتريس ،
وعيسى بن مريم ، وهذه النخبة الساحرة من أبطال الأنيادة
والأوديسة والأنيادة ، ورسالة الفران ، والزوايع والتوايع ،
والكوميديا الإلهية والفردوس المفقود ...

فألى قرأت هذه الروائع كلها وفهمتها على وجهها ثم أجدني
غيباً أشد الغباء حين أتناول هذه الأرواح والأشباح فلا أستطيع
أن أبلغها ... كنه أن أهضمها ، ولا أستطيع أن أطير مع
الشاعر اللبق المحبوب في تلك الجواء التي لم أتبع إلا زورديّة
هي ، أم هي ظلمات في ظلمات في ظلمات !

يتخبرنا الشاعر في المقدمة أنه تجرد من طيفه ، (أو أن روحه
انصدقت من طيفها فيما يشبه أحلام اليقظة ... وكأنه بها وراء
سحابة في عالمها الذي سبق أن عاشت فيه عند بمنها الأول ،
وأنه وجد نفسه في داريق أفلاطون ومثله العليا ، فتتفس في هذا
الجو طليقاً جراً لا تقو ، بيثة ولا عقيدة ، ولا يحد من خريته
حذر أو آهام ، وأنه أرسل بصره في هذا الطريق الصاعد البعيد
فلم يصل إلى مداه ، وبدأت البصيرة عملها من حيث انتهي
البصر ، فإذا أبوابه سحرية موصدة ، وراءها تخفي وأسرار ،

فجلجل في أذنيك — أو أوحى إليك ... بأن تدع السماء
تصاريفها ...

ولكن ... لا غبار عليك ، فلت أول مفتون بجبال
الميثولوجيا اليونانية التي ظلت أحقاباً وأحقاباً مصدرراً للإلهام
الشعراء ... ولعلك جاعل لمصر نصيباً في غير هذه المنظومة
إن شاء الله .

هذا من حيث الموضوع ... أما من حيث الشكل فالتقد
أيسر ما يجري به قلم الناقد ... ولعل أول ما بلغت النظر في
سياق أشباح وأرواح هو طريقة الانتقال هذه من مقطوعة إلى
مقطوعة ، ومن حوار إلى حوار ... ولو كانت المنظومة تمثيلية
لما كان ثمة موضع لمواخذة . ولكن المنظومة قصة خيالية ،
فلما لم تُنظم هذه الكلمات الانتقالية التي كتبت بالنداء الآخر ،
مع أنها تصور مناظر خلاصة كهذه الكلمات التي مهد بها لمقطوعة
« الحية الخالدة » ، والكلمات الواردة في صفحة ٦٤ التي يقول
فيها : (هـرمن ينظر إلى غمام بيض) قريبة وكأنه يترقب شيئاً
والتي في صفحة ٦٥ والتي في صفحة ٧٨ التي تصور انشقاق
النهامة عن الشاعر في موقف اضطراب ...

لقد كان هوميروس بارعاً جداً في مثل هذه الانتقالات ...
لقد كان يُنطق أخيل مثلاً بكلام ، فإذا انتهى أخيل وأراد
خصمه هكتور أن يتكلم ، تجلت عبقرية هوميروس في وصف
أثر كلمات أخيل في نفس خصمه ، وفي نفوس الطرواديين ...
فإذا تكلم هكتور وفرغ من كلامه ، مهد هوميروس للنظر
الذي يلي بشعر يعتبر من غرر الإلياذة الخالدة . وكذلك كان
يصنع في الأوديسة . ومنظر انشقاق النهامة عن الشاعر هو
منظر تصويري مبتكر ، فكيف يكون خيال شاعرنا الرقيق
الوهوب أكثر عبقرية من تمييزه السكلامي ؟ ولماذا لم يلبس هذا
المنظر حالته البهية السفينة من شعر على محمود طه البهي السني ؟
لماذا ؟ ... لماذا هذه السرعة في الإخراج ؟

ولقد تفتيت طويلاً بحسن اختيار الشاعر لبحوره وقوافيه ،
ولكني لاحظت مع ذلك أنه كان ينام أحياناً عن اختيار هذه

وقضايا وأقدار ، وإذا به في ختام قصيدته لا يزال في ذات الطريق
لم يصل إلى غاية ، ولم يوف على نهاية ...) ويخبرنا أنه سمع حواراً
في عالم الأسرار والأقدار يجري بين حوريات من سواح
الفن ورباته ، هن : سافو وبليتييس وتاييس ... ثم هرمز ...
أو هرميس كما سماه الشاعر ... يحكم بينهم^(١) ...

فلو أن هذا هو الذي يقرأه الإنسان في تلك المنظومة
الغريبة لمان الأمر ولما اتهمت نفسي بالبلاهة وفهمي بالغباء ...
لكنني أقرأ من هذه المنظومة هذه المقطوعة العجيبة الشائقة
« حواء »^(٢) فأجد قلباً يجيد وصف المرأة . هذه الجنة التي زان
بها الله وجه الحياة ... وأجد هذا القلب يعترف بالله وبالأقدار ،
وذلك حيث يقول :

قضى الله أن تغوى الخالدين وتغرى بالمجد عشاقها
وحيث يقول في ختام المنظومة :

من الخير والشر إلهامها . وما هو إلا القديم السماع
فدع للسماء تصاريفها فقد أذن البعث بعد انقطاع
وهي آيات يرددها صوت من السماء ... فأين هو هذا الانطلاق
من البهينة والمقيدة ؟ وأين هو طريق أفلاطون ومثله العليا ؟
أقول لك الحق يا صديقي على ! إلى أعرفك أكثر مما تعرف
نفسك ... ورأيي فيك هو الذي أعلنته في كلماتي السابقة حينما
دافعت عنك . ودفعت عنك ما يظنه الناس فيك ، وما تظنه
أنت بنفسك من البهانة بين الزهر والخمر ، وبين أطيايف سافو
وأفروديت وتاييس وبليتييس ...

على أنني لست أدري لماذا تستأثر بخيالك أشباح اليونان
الغابرة ، ولماذا نسيت في هذه الأشباح والأرواح مصر الخالدة
الحاضرة ؟ فهل رأيت كيف لم تستطع الانسلاخ من الشرق
العزير الحبيب حين هتف بك هذا الصوت من السماء في آخر
المنظومة ، فردك إلى وادي الوحدةانية المؤمنة ، وأقصاك عن
الأولب الوثني ذي الآلهة المتعددة ، وذلك حينما قلت :

أم الشبك آذنتي بالصرا ع أم حل بي غضب المنتقم

(١) من مقدمة أرواح وأشباح مع تحويل الضمير إلى الغائب

(٢) ص ٦٦ وما بعدها

للبحور ، وبنام عنها ملء أحفانه . وكان حين يصنع ذلك يرسل
كلاماً لا هو بالشعر فتحمده موسيقاه ، ولا هو بالنثر فتحمّل
هجره : ومن ذلك هذا الكلام الذى تقوله حوريتنا ربة الريح
الغريبة فى أغنية الرياح الأربع ص ٧٣ :

أنا ريح الغرب بنت الآباد
أنا همس القلب أنا رجح الشادى
أنا رمز الحب فى هذا الوادى

ثم هذا الكلام الذى يقوله ماتوكا المبد الأسود ص ٩٥ :

مائدة حافلة كثيرة الأغراء
جاءت بها قافلة تدلف من سيناء

فأين موسيقا على محمود طه وأين غناؤه وألوانه فى هذا
الكلام ؟ وقل مثل هذا فى ذلك النشيد الذى يهرف به
باتوزيس ص ٣٣

وأحسبني قد انزلت برغمي إلى أعماق أعماق الناحية
الظلمة من على محمود طه ، وعلى الرغم منى ... ولذلك فأنا أوتر
أن أعبر هذه الظلمات القليلة فى سرعة خاطفة ، لأن أنوار
الشاطئ الآخر الثلاثة تجذبني فى قوة وعنف ...

فما اصطدمت به فى تلك الظلمات انتقال الشاعر فى كلام
المتحدث الواحد من بحر إلى بحر ، كما يقول ماتوكا (ص ٩٦) :

هو عند الشاطئ يستقضى نبأ ويسائل ركبانا
إلى شأ سيدى أمر أرفع هاتيك الستر

ولست أدري لماذا لم ينظم البيت الثانى من التدارك كالذى
قبله ؟ فإن اعتذر بأن البيت الثانى كان فاتحة كلام جديد ، فما
أظنه حرياً بباتوزيس الشاعر أن يجرى وراء ماتوكا الخادم فى
بحر يستفتح له !

ومن ذلك قول أزمردا ص ٤٠

أقيم فى قصر ؟ وفيه القصور ؟

وطوع سلطاني هذى البحور ؟

وعننى فى النظم على هذا الميزان ، ومن تلك القافية ، ثم

تراه يغير الميزان ويبقى على القافية فيقول :

يشير أهواء الحسان الحور
حتى تُرى فى ظله المنشور
يحملها إلى النهد القدور ؟

ولست أدري ما ذنب هذه المصاريح الثلاثة الأخيرة لتشد

عن موسيقا المصاريح المشرقة التى سبقتها ؟

ومما صدمنى فى هذه الظلمات القليلة بعض الانحرافات

« النحوية » التى لا أسيغها ، ولا أحسب أن لفتنا العربية
تسيغها ...

فمن ذلك أفراد فعلاء التى نصف جماعاً إذا كانت فعلاء هذه

صفة لونية ... فالنصف الحمراء ص ٣٦ خطأ فى رأي ، والصحيح

أن يقال « الغرغرة الحمر » ولا داعى مطلقاً إلى تحدى الناس

جميعاً بأن يوردوا مثلاً واحداً أفردت فيه فعلاء اللونية إذا

وصفت جماعاً من قرآن أو كلام جاهل أو إسلامى ... ولنى يقبل

عذر معتذر بأن أعلام كتابنا يستعملون ذلك اليوم

ومن الانحراف النحوى أيضاً قول الشاعر « لا زال »

ص ٤٨ والأصح « ما زال » وتستعمل لا فى المضارع فيقال

« لا يزال »

ولست أدري معنى « اضطرح » ص ٤٩ وهو يريد اضطرح

بالطاء المشددة

ويقع الشاعر فى هذه النقطة الدائمة فيقول : الأسى الذى لا

مكان الدوى « الملاح الثامه ص ٨٠ »

على أن هذا كله ليس شيئاً فى مقائن شاعرنا الرقيق المبقرى

الموهوب ، الذى أصبح لساناً من ألسنة مصر الحديثة تدخره

لمجدها وتنطوى عليه حناياها .

وربى فشيبة

حكم فى اللجنة ٧٧٢ عسكرية مصر الجديدة سنة ١٩٤٢ بحبس أحد

سلطان كريم ثلاثة أشهر والنشر والتعليق والفتوى والمصادرة لمرضى البيع

خيراً بأزيد من التسمية

الطبيعة توحى والشاعر ينطق

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

- ٢ -

لم أذكر في مقالى الأول شعراء الطبيعة في الشرق والغرب على سبيل الحصر ، بل ذكرتهم على سبيل المثال . وما كنت في معرض يأذن لى بأن أتتبع شعراء الطبيعة واحداً واحداً في العالم كله ، وأحصرهم جميعاً في مقال واحد في مجلة أسبوعية تضيق صفحاتها عن الحصر في موضوع يعجز الكاتب أن يستوفي جميع أطرافه . فذلك عمل أولى أن يكون موضوعاً لكتاب يكتب ويحفظ على سبيل الرجوع إليه ، لا مقالاً في مجلة تختلف أقاليم الكلام فيها باختلاف الكتاب ونوع اختيارهم لما يكتبون ولم أشأ أن أجمل لفالى الأول لحفاً يلحق به ، أو حادثة ثانية ، ولكن الأديب الفاضل الأستاذ حسين الفنام استدرك على مقالى بعض أشياء رأى أن يذكرها لى في كتاب خاص . فرأيت ألا أحرم قراء الرسالة الاشتراك في موضوع لم يعد لى وحدى ؛ ولكنه أصبح موضوع كل قارى . ومن حق القارى على الكاتب ألا يغفل رأيه أو يهمل استدراكه . وخاصة إذا كان المستدرك أدبياً في نفسه وأدبياً في درسه . فاستدراك أدبنا اليوم فيه كثير من الاطلاع على الأدب الغربى ، وفيه كثير من الأدب في الاستدراك ؛ وذلك شئ يشجع الكاتب على المضي في عمله ، ويفريه بالاستمرار في البحث

بأخذ على المستدرك الفاضل أننى ذكرت ناساً وتركنت ناساً أشهر منهم من شعراء الطبيعة . وشطر هذا الكلام حق فاقصدت أن أعد شعراء الطبيعة جميعهم لا أستثنى منهم أحداً ؛ ولكننى قصدت المشهورين ممن أكثروا في وصف الطبيعة وكانت إلهاً لم ووحياً لشعرهم . ولو كنت في مقام يقتضى المد والحصر لذكرت مثلاً توماس ناش ١٥٦٧ - ١٦٠١ م

الذى عاش قرابة ثلث قرن وعاصر جرّين ومارلو ، ومات بعد حياة كانت أملاً بالكفاح والنضال منها بالدعة والروح . ولهذا الشاعر غرام عجيب بالطبيعة . وكان من حقه أن أنظمه في سلك شعراء مقالى الأول ؛ إلا أن شهرته الأدبية لا تمتد لشهرة من ذكرت وله أبيات في الربيع عنوانها Spring يقول منها :

المروج معطرة الأنفاس
والأفاحى تقبل أقدامنا
وأحداث المشاق يلتقون
والزوجات العُجْز يضحين في الشمس
وفي كل ثنية نحوي آذاننا زقزقة الطيور

ولو كنت في مقام يقتضى الحصر والمد لذكرت مثلاً بن جونسون ١٥٧٣ - ١٦٣٧ ؛ وذكرت معه أبياتاً الرائعة بعنوان الطبيعة النبيلة The Noble Nature

ولذكرت روبرت هريك ١٥٩١ - ١٦٧٤ ؛ وذكرت زيادة على أبياتة في زهرة الدافوديلس قصائده في البنفسجة ، والبرعموز ، وبراعم الكرز ، والشب . فهو في هذه الموضوعات مُفَنِّنٌ للطبيعة . ولقد يكون في أفكاره شئ من التفاهة ؛ ولكنه يخلع على تلك الأفكار ثياباً من تمييز يكسبها نضارة قطرات الندى في تباشير الصباح

ولذكرت الشاعر ويليام كولينس ١٧٢١ - ١٧٥٩ ؛ وذكرت قصيدته غير المقتاة التي عنوانها « إلى مساء »

ولو كنت في مقام يقتضى الحصر والمد لذكرت والتر لاندور ١٧٧٥ - ١٨٦٤ ؛ وهو الذى يقول في إحدى مقطوعاته :

« لئنني أحيت الطبيعة ، وأحييت الفن بعدها »

ولذكرت لورد تيفيسون ١٨٠٩ - ١٨٩٢ ؛ وذكرت قصيدته التي يخاطب بها البحر قائلاً :

تكسر ! تكسر ! تكسر أيها البحر !

على صخورك الباردة الدواكن

وذكرت قصيدته « الجدول » التي أنطق فيها الجدول

وهذا كلام فيه بمض الحق . فلمبد الرحمن شكرى فى ديوانه
الأول قصائد خطرات فى المساء ص ٤ ، أو حنين الغروب عند
الشمس ص ٨ ، ونحية للشمس عند شروقها ص ١٦ . والحب
والليل ص ١٨ ، والروض بالليل ص ٥٥ ، والبرق ص ٥٥ ، وغيرها .
وله فى ديوانه الثانى رثاء عصفور ص ٦٣ . وله فى ديوانه الثالث
سحر الربيع ص ٧ ، والشعر والطبيعة ص ١٦ ، وله فى ديوانه
« زهر الربيع » قصيدة رجب ص ٤٨ ، وقصيدة حديقة الصيف
ص ١ ، والطائر الحبلى ص ٦

وللمقاد كذلك قصائد ومقطوعات فى الطبيعة . وأطولها
قصيدة فى « الكروان » التى ضاعت منها الوحدة الموضوعية التى
نبحث عنها فى الشعر العربى الحديث

ولما زنى كذلك مقطوعات فى الطبيعة ، ولكن الحق كل
الحق أن شاعراً مصرى لم يتفرد بوصف الطبيعة والجلوس إليها
والانفجار فيها كما فعل الشاعران اللذان ذكرتهما فى مقالى الأول
وهما المرحوم الممشى وشاعر البرارى

ولو كانت قصيدة واحدة أو بضعة قصائد تكفى لأن نسلك
صاحبها فى عداد شعراء الطبيعة ، لسلكنا فيمن سلكنا
حافظ إبراهيم وأحمد شوقي وخليل مطران وعلى محمود طه
والدكتور ناجى وعبد العزيز عتيق ، وكثيراً غيرهم ممن يضطرون
ضيق المقام إلى عدم ذكر أسمائهم .
وعلى المستدرك التحية والسلام

محمد عبد الفتاح

الترقوق من حين ينبجس إلى حين يتصل بالنهر ، ماراً بالهضاب ،
مترراً مع الأحجار ، مخترقاً الحقول ، محتملاً فوق مائه برعة
طافية أو عشبة يابسة ، ملقياً بهما فى أحضان تياره المندفع فوق
صغار الحصى

ولذكرت بروننج ١٨١٢ - ١٨٨٩ ؛ وذكرت قصيدته
« أفكار نحو الوطن - من البحر »

ولو كنت فى مقام يقتضى الحصر والمد لذكرت شارلس
كنجسلى ١٨١٩ - ١٨٧٥ ، وذكرت قصيدته « أغنية إلى
ريح الشمال الشرقى » ، ولذكرت وليام موريس ١٨٣٤ - ١٨٩٦
وذكرت قصيدته « بحر الصيف » وهى لوحة على إيجازها
مملوءة بالخصيب من الألوان . ولذكرت سوينبرون ١٨٣٧ ،
وذكرت قصيدته « حديقة مهجورة » ولو أنها أميل
إلى شعر التأمل والتفكير الفلسفى منها إلى شعر التصوير والطبيعة
لو كنت فى مقام يقتضى الحصر والمد لذكرت هؤلاء وكثيراً
غيرهم ممن صادفهم قارىء الأدب الإنجليزى ؛ ولذكرت غيرهم
من شعراء الطبيعة الفرنسيين ؛ ولذكرت غيرهم من شعراء
البرية ممن لم أذكرهم فى مقالى الأول اكتفاء بمن ذكرت ؛
ولأضفت إلى هؤلاء بضعة من الشعراء اقترحهم على الأدب
حسين الفنام فى رسالته الخاصة ، أمثال إمرسن وبوسف كيزار
وكيلنج ولونفلو فى أدب اللغة الإنجليزية . وبوشكين فى الأدب
الروسى ؛ ولأضفت إليهم - من عندى - بريدجز ، وهوسمان ،
وتوماس هارى ، وشارلس سورلى ، ولاير من شعراء القرن
المشرين ، وأضفت إليهم كذلك روزنبرج ؛ ودأى لوبس ،
وبيتس ، وليون ، وغيرهم من المغمورين

نعم ، لو كان المقام يقتضى الدراسة الواسعة والبحث المحيط
لخصمت كل واحد من هؤلاء بمقال ، وأضفت إليهم غيرهم ممن
لم أذكرهم ولم يذكرهم المستدرك الفاضل ، ولكن دواوينهم
مطبوعة يرجع إليهم من شاء من طلاب التوسع والمزيد
وهناك اعتراض آخر ، وهو أنى لم أسلك عبد الرحمن شكرى
والمقاد والملازنى مع من سلكت من الشعراء المصريين
والمترضى يقول (ولكل واحد من هؤلاء غير قصيدة
واحدة فى الطبيعة)

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة للمصحف

نشر بإعلان وزارة المعارف ١٨٣٩

بالعدد ٥٥٣ على الاستمارة ع . ح

والصواب على الاستمارة ١٦٧ ع . ج

من إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

كتب الكاتبون قديماً وحديثاً في إعجاز القرآن ، ولكن ليس كمثل الأمثلة العملية الواقعية يبان لذلك الإعجاز . ومن أحدث هذه الأمثلة وأعجبها ما وقع من الدكتور زكي مبارك أو « الكاتب المجهول » كما يسمى نفسه في العدد ٣٥١ من الرسالة

والدكتور زكي مبارك كبير الإعجاب بنفسه يظن أنه أحاط بالأدب العربي من أطرافه : أطراف النثر وأطراف الشعر ، فلم يدع لكاتب ولا شاعر شأواً معه . تعرف ذلك في دعاواه الطويلة المريضة التي ينثرها عيماً وشمالاً بغير حساب فيما يكتب من مقال ، وما يؤلف من كتاب ، كأنما أراد أن يكون المثل المنجم لقانون التمويض النفسي في الأدب ، فهو يموض نفسه عما فاته من ثناء الناس بالمبالغة في الثناء على نفسه ، وهذا شيء لم يكن يفهم لولا أن إعجاب الدكتور بنفسه انقلب فيه غروراً ، وأن الغرور بلغ منه حداً جعله يتناول إلى مقام القرآن الكريم ، يشكك في إعجازه تارة ، ويكاد يصرح أنه من كلام البشر تارة أخرى ، ويدعو إن بتطبيع وإن بتصریح إلى تناول القرآن بالنقد ، كأنما يظن أن ذلك في مقدوره لولا أن المسلمين لم يستمدوا بمد لتلقى كل ما عند الدكتور

وسولت له نفسه أن يكتب مقاله « أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » ، ولأمر ما رأى أن يوقعه بغير اسمه ولكنه نسي نفسه حين أمن أن يعرف قرى بها عوراء مخزية حين كتب : « أما بعد ، فأنا لا أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، وإنما أعوذ برب الفلق من خير ما خلق ، وهو الجلال » . لملك لو فتشت عن قلبه حين كتب هذا لوجدته مبروراً به ، يرى أنه جاء بطريف وهذا خذلان الله لكل

من يلحد في آياته : يخفى عنه الغلظة المنكرة لا تخفى على العاوى من الناس .

والغلظة المنكرة هي جهله أن كلمة « شر » في الآية الكريمة اسم لا أفعل تفضيل ، وأن الفرق بين معنى الآية كما فهمها وبين معناها كما أنزلت كالفرق بين الجاد والحي ، والإعجاز وغير الإعجاز

وإذا أدرك زكي مبارك غلطته لحاول أن ينكر أن (شر) في جملته أفعل تفضيل كذبت كلمة (خير) في نفس الجملة ، إذ لا شك مطلقاً في أن (خير) في جملته تلك أفعل تفضيل جاء في مقابلة « شر » أفعل التفضيل الآخر في أول الجملة . إن كلمة شر إذا كانت اسماً مضافاً إلى ما الموصولة ، كما هي في الواقع في قوله تعالى (من شر ما خلق) في السورة الكريمة المعروفة ، شملت كل شر لكل مخلوق ، فالاستمادة بالله من شر ما خلق على هذا الوجه هي استمادة تامة كاملة لم تدع موضعاً لاستدراك مستدرك ولا للعب لاعب . فإذا أراد مغرور أن يلعب باللفظ نظرفاً واستطرافاً سقطت سقطته الدكتور زكي مبارك . قد يكون الجلال خير ما خلق الله وقد لا يكون ، لكن إذا كان للجلال شر يخشى ويستماذ بالله منه فقد دخل في الشر المطلق شر كل مخلوق خلقه الله ، وهو ما أمر الله الإنسان بالاستمادة منه برب الفلق ، فلا داعي هناك قط إلى تموز جديد من الجلال أو من غير الجلال

فانظر الآن إلى ما يطرأ على المعنى من التغير والتضيق والنقض بجمل (شر) أفعل تفضيل كما فهم صاحب النثر الفنى . لقد انفتح له بذلك من ناحية باب الاستدراك فقال إنه لا يعود من شر ما خلق الله ولكن من خير ما خلق وهو الجلال . ومن ناحية أخرى صارت الاستمادة على هذا الوجه مقصورة على شر أكثر خلق الله شراً ، وتركت ما عدا ذلك من شر كثير حراً طليقاً يصيب من الإنسان ما شاء . فأى استمادة هذه التي ترك المتموز عرضة لأكثر الشر في جملته ، أو لشر كثير على أقل

أحزان الوحدة !

للأديب عبد الرحمن الخنيسي

دَمْرِي يَا وَخْشَتِي كُلُّ هَنَاءٍ

وَوَلَّى أَنْفَاضِيهِ سِرٌّ يَا عَنَاءُ

وَأَعْصِي بِي يَا شُجُونِي عَمِيقَةً

تَحْمِلُ النَّفْسَ إِلَى وَادِي الْقَنَاءِ

أَنَا أَفْرَدْتُ وَلَا مِنْ مُؤْنِسٍ

يُبْعِدُ الْوَحْدَةَ عَنِّي وَالشَّغَاءُ !

تقدير :؟ فلو كان هذا المعنى مقصوداً في كلام أديب لكان معيباً عند أهل البلاغة ، ومع ذلك فهذا هو ما فهمه من كلام الله الذي كثرت زكي مبارك المستأثر ببلاغة النثر والشعر الحائز لكثرت الأدب العربي من باريس بكتابه النثر الفني الذي زعم فيه أن القرآن من كلام البشر ودعا فيه إلى نقد القرآن

فكان الله سبحانه أراد أن يضرب مثلاً لخلق من إيجاز كلامه على يد شاك بظن أنه ملك ناصية الكلام ، فقيض الدكتور زكي مبارك ، لا ليبدل لفظاً من لفظ ليكون لفظ القرآن هو الأنصح والأبلغ ، ولكن لينقل لفظاً بيمينه من وجه إلى وجه ، من الإسمية إلى الوصفية ، ولا يكون هذا اللفظ إلا أبسط كلمة في أبسط آية يفهمها حتى عوام المسلمين في أنحاء الأرض ، ليحيى المعنى تأفها بعد مروره في ذهن الدكتور ؛ ولتبين للناس ، مثل من عزة القرآن وإيجازه ؛ وأن صاحب النثر الفني لا يفقه فرق ما بين الإيجاز وغير الإيجاز ، وأنه ليس من القرآن الكريم في حقيقة ولا مجاز .

محمد أحمد الفهراري

أَنَا أَفْرَدْتُ فَيَا مَنْ عَزَّ أَنْ

يَتَلَقَّاهَا خَيْـالُ الشُّعْرَاءِ

أَيْنَ أَلْفَاكِ ؟ ابْزُغِي فِي عَالَمِي

تَتَفَتَّحُ لِي آفَاقُ الرَّجَاءِ !

هَذِهِ الْوَحْدَةُ مَاذَا تَبْعِدُهَا

يَا زَمَانِي يَنْطَوِي لِي فِي الْخَفَاءِ ؟

أَحْرِقِي بِالنَّشْمِ أَجْفَانِي يَا

أَعْيُنِي وَاسْتَعِذِي مَرَّ الْبُكَاءِ

أَنَا أَفْرَدْتُ فَيَا غُرْبَةً مَا

كُنْتُ لِي غَيْرَ مَعِينِ الْبَرَّاءِ

فَانْزِرِي يَا أَضْأَمِي فِي وَخْشَتِي

حَرٌّ مَا يُبْرِغُ قَلْبِي مِنْ دِمَاءِ

هَاتِهِ الْأَنْجِيمُ مَنْ يُفْرِقُهَا

فِي أَوَاذِيكَ يَا بَحْرَ السَّمَاءِ !

نَمُّ مَنْ يُطْلِقُ رِيحاً صَرَصَرًا

تُطْفِئُ الْمِصْبَاحَ فَالْدَّارُ خَلَاءُ !

غُرْفَتِي لَا تَعْرِفُ الْأَصْوَاتَ يَا

شِفْوَةَ الْهَاتِفِ إِبْرَانَ النَّدَاءِ

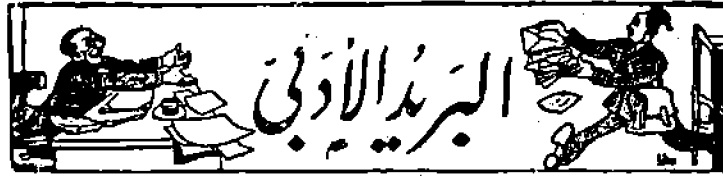
إِنْطَقِي أَيْتَهَا الْجُدْرَانُ ، أَوْ

نَاضِعَتَيْنِي وَاهْدِي فَوْقَ الْبِنَاءِ

وَقَفِي أَيْتَهَا الْأَرْضُ ! وَلَا

تَقْطَعِي الدَّوْرَةَ فِي هَذَا الْفَضَاءِ

عبد الرحمن الخنيسي



مجمل بئينة

ثالثاً: يقرر الأستاذ خطأ مدرسة «الاستحسان» التي تقرر بأن من وصف محبوبه بأنه كالشمس أغزل ممن شبهه بالبدر أو كوكب من الكواكب. وقد ساق ما لا مزيد عليه من الأدلة لتوطيد هذه النظرية الطريفة، بيد أنه خرج من ذلك في الصفحة ٧٨ إلى أن قول جميل:

رى الله في عيني بئينة بالقذى وفي الفر من أنيابها بالقوادح
ينأى به عن اتباع المذهب الاستحسانى في تنزله. والذي يبدو لي في هذا القول أنه ليس فيه ما يجانى جيلاً عن المذهب المذكور، فهو لم يقدح في جبال عيني بئينة ولا تنفرها؛ بل ما زال مستحسناً لها كل الاستحسان، وناهيك بوصفه الأنياب بالفر. وغاية ما يجمل أنه كانت تستبد به أحياناً عوامل الغرام فيصاب بما يصاب به الولهون في مثل هذه الساعات من ذهول واضطراب يجعلانه يتبرم بكل شيء في الحياة، حتى أن حبيبته التي هي أعز ما في الحياة لديه يتمنى أن تذوق شيئاً من الشقاء، حتى ترغم على العطف عليه فينعم بهذا العطف وحسبه ذلك. على أن جيلاً نفسه فيما رواه الأستاذ في «مختارات شعره» ص ١٤١ قد وصف محبوبته بأنها كالبدر، ووصف غيرها من النساء بأنهن كالشواكيب فهن دونها جبالاً، وبهذا اتبع مذهب «الاستحسان»، وذلك حين يقول:

هي البدر حسناً والنساء كواكب

وثنان ما بين الكواكب والبدر

«مكة المكرمة» هبة القمري الانصاري

١ - بين صمحة والمنازي

دهشت لما قرأت حكم الأديب عبد الحميد. عبد المجيد بأن نسبة الأبيات التي أولها:
وقانا لفحة الرضاء راد سقاء مضاعف الغيث العميم الخ
إلى أبي نصر أحمد بن يوسف النازي خطأ وإنما لمدة الأندلسية. دهشت لأنى أعلم أن هذه الأبيات مما تنازعها الشرقيون والأندلسيون قديماً، بل لقد أجمع أدباء المشرق - كما يقول ياقوت في معجم الأدباء - على نسبة هذه الأبيات للنازي التوفى سنة ٤٣٧ وتسمها أدباء الأندلس ومؤرخوها إلى حدة بنت زياد

وفي وفيات الأعيان لأن خلكان أن المنازي اجتاز في بعض

جميل جداً أن يتجه الأستاذ الكبير عباس محمود المقاد إلى كنوز الأدب العربي يجلو صفحاتها ببيان الطرب المعجب العميق. وقد كان من أواخر ما جلته لنا راعته الفياضة من هذا القبيل «جميل بئينة»^(١) في شعره وفي سيرته، فلا بدك فراغا كان يشعر به رواد الأدب الحديث. وكان بثنائه هذا اللحن الجديد في هذا الموضوع القديم يمثل بحق دور «الكاتب البار» الذي تحدث عنه «سنوحى» في قصته^(٢) عن لسان أحد أبطالها المبدعين.

وقد استوعبت رسالة الأستاذ عن «جميل» مطالعة وإمعاناً ملتناً بما تحويه من أقنن النظريات النفسية الحديثة في عرض كله إمتاع. وفي أثناء مطالعتي لفصولها تبدت لي بعض ملاحظات لا تؤثر على جوهرها ولا فضلها، وهذه هي:

أولاً: يصف الأستاذ بئينة «باللحن» مستدلاً على ذلك بمحدثها مع عبد الملك بن مروان حين قال لها ما الذي رأى فيك جميل؟ فقالت: الذي رأى فيك الناس حين استخلفوك. ويقلب الأستاذ على هذا بقوله: «مثل هذه الحماقة لا تظهر في الكهولة إلا إذا كان لها أساس أصيل من بداية العمر». والذي يلوح لي أن إجابة بئينة لا تنفي عن حق، بل هي تشف عن حفاقة رأى ورجاحة عقل وسرعة بديهة وجرأة قلب، شأن الكيسات الفصيحات من نساء عرب البادية. فبصد الملك إنما سألهما بما سأل مبعثاً غاضاً من جالها وقادحا في جميل الذي فتن بهذا الجمال الموهوم. وسرعان ما أدركت غرضه فردت له الكليل بكليل مثله

(١) الجزء الثالث عشر من سلسلة «اقرأ»

(٢) الجزء الثاني عشر من سلسلة «اقرأ»

أسفاره بوادي « بزاغا » - قرية بين منبج وحلب - فأعجبه حسن هذا الراي وقال هذه الأبيات في وصفه .

٢ - قيس بن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

ذكر صاحب الأغاني (ج ٨ ص ٩٤) أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال في زوجته عشة هذه الأبيات :
تلفل حب عشة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير
تلفل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ مرور
صدعت القلب ثم ذرت فيه هواك فلم فالتأم الغطور
إلى آخرها وهي ستة أبيات رقيقة بأكية . وذكرها أبو علي الفاي في ذيل الأمل (ص ٢١٧) ونسبها إلى عبيد الله أيضاً إلا أن صاحب الأغاني ذكر في صفحة ١١٣ ج ٨ البيت الثاني والثالث ونسبهما إلى قيس بن ذريح صاحب لبني في قصة طريفة ذكر أنهما من شمر قيس . فأى قول الأصفهاني نصدق ؟
براهمه البربر المأخوذتان

الشيخ محمد عباد الطنطاوي

رجا فاضل في هذه المجلة (في العدد ٥٤٩) ممن يعثر على تاريخ هذا الرائد المجهول أن يدلى على صفحات الرسالة بالمصادر التي يمكن الرجوع إليها عنه

وتلبية له أشير إلى أن المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا قد عني بجميع أخباره وتسقطها زمناً ، وبذل في ذلك جهداً مشكوراً ، ثم نشر ما وصل إليه في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٤م (المجلد الرابع ص ٣٨٨ - ٣٩١)

ثم جاء المستشرق الروسي المعروف : (أغناطيوس كراتشكوفسكي) من أكاديمية العلوم الروسية ، فاستدرك على تيمور باشا بعض استدلالات مفيدة جداً نشرها في المجلة المذكورة (ص ٥٦٢ - ٥٦٤) من المجلد الرابع ، ذاكر أن للفقيه ترجمة بقلمه ، وآثاراً علمية من تأليفه ، تحتفظ بها مكتبة السكاي في بترغراد وكلها بخط مؤلفها ، وأشار إلى مصادر عن حياته لا تخلو من فائدة ، كما صحح خطأ المستشرق هيار Huart في تاريخ وفاة الشيخ محمد عباد الطنطاوي رحمه الله

(دمشق)

معبود الوفاة

« بغداد »

عبد الله الطنطاوي

إلى الأستاذ قري طوقان

قرأنا لكم كتابكم العظيم « الكون العجيب » فحمدنا لكم هذا الصنيع إذ تنفذون إلى أعماق الكون وسرائر الوجود بفكر ثاقب وقلب مؤمن ، وإذ أنا أطالع في مقدمة « ابن خلدون » عثرت على اصطلاحات فلكية لا أكون بجانب الصواب قلت إن أكثرها يحتاج إلى دراسة عميقة حتى يتبين منها ما أظهر العلم الحديث صحته أو بطلانه . وكان ما استوقفتني من هذه الاصطلاحات قوله : ص ٤٩ طبع مصطفى محمد [وقد تبين في موضعه من الهيئة أن الفلك الأعلى متحرك من الشرق إلى المغرب حركة يومية يحرك بها سائر الأفلاك في جوفه قهراً ، وهذه الحركة محسوسة] ؛ فإنا هو الفلك الأعلى وما عوامل قسره سائر الأفلاك على الحركة ، ثم ماذا يعني العلامة ابن خلدون بقوله وهذه الحركة محسوسة ؟ وبدهي أننا حين قرأنا قول الشاعر :

تقفون والفلك المحرك دائر وتقدرون فتضحك الأقدار
لم تتمق الفكر ولم تدقق الحساب مع الشاعر ؛ إذ قصارى المعنى الثمري أن الحياة سائرة والمخاطبين جامدون : أما ابن خلدون الباحث الاجتماعي الذي شرقت آراؤه وغربت فلا بد من مناقشته وعرض آرائه على بساط البحث
قال الأستاذ الكبير قري طوقان أسوق الحديث .

ابراهيم الصبيح

استدراك

جاء في مقالتي عن الشاعر الإنجليزي « شلي » في العدد ٥٤٩ من الرسالة : « أنه سافر حدثاً ليتحقق بكلية إون با كسورد » ، وصوابه : ثم با كسفورد ، أي الجامعة الشهيرة وهي التي طرد منها الشاعر أخيراً . إذ كما يعلم القاري اللبيب أن لا علاقة بين المؤسستين على الإطلاق

عبد الله الطنطاوي

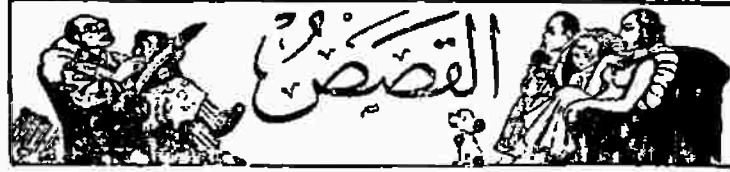
إلى صحراء مقفرة ، لا بهجة فيها ولا رواء
ومن يدري ؟ ربما كان الشيخ قد رأى في تنقله على
عوائق السن ودواحي الوفار ، أطيّب نحيبة يزوجها للمعاطفة
الأنثيمة التي قاضت من قلب « جميلة » قبل نصف قرن

من الزمان

كان ذلك حوالي عام ١٨٧٠ ، في قرية « بشرى » الهامجة
في أحضان الجبل على عتبة غابة الأرز ، ولم يكن مضي غير
أعوام منذ فقد خليل خوري أباه في مذبحة « دير القمر » وهي
إحدى الذابح البشعة العديدة التي خضبت في القرن الماضي جبال
لبنان بدماء بنيه من المسلمين والمارونيين . فلما دم اليتم
النلام ، وهو ما يزال في الثامنة ، تلقفه بالمطف والحذب أكثر
من قلب ، وخاصة من أفراد أسرة الشيخ راشد والد جيرانه
الأطفال : بطرس وجميلة ومُنهى ، ومن ثم وجد النلام في
ثلاثتهم إخوة يبادلونه ألعابهم وبصطحيونه معهم كلما خرجوا
على ظهور الخيل للصيد بين الجبال

صرت أعوام ، وبلغ الفتى عامه الخامس عشر ، فإذا ببطرس
يفاجئه يوماً بالقول في لهجته القوية الآمرة : « إن جميلة سوف
تفقد زوجتك يا خليل » ... وكان هذه الكلمات قد أثارت
في الفتى فتوته فسبقت مشاعره سنه ، وإذا به يحس من يما
مسكراً من الأحاسيس والأخيلة ، ثم إذا بالخيال يوشك أن يصبح
حقيقة ، حين يدرك خليل من حركات وهسات أفراد الأسرتين
أن زواجه من جميلة أنحى أسراً مفروغاً منه ... ولم لا ؟
أليست جميلة كأخته ؟ إذن فالتطور لن يصل إلى حد الطفرة ،
لن يبدو أن يكون خطوة قصيرة واستكمالاً طبيعياً لمودتهما
المذبة ، المودة التي وقفت سلتها عندها طويلاً ... إلى أن وقع
حادث تافه بدّلها في قلب خليل إلى حب جارٍ ...

... وإنه ليدكر ذلك الحادث كأنه قد حدث بالأمس ...
كان خليل عائدًا مع بطرس وجميلة - عصر أحد أيام الشتاء -
من قرية (حصرون) القريبة ، حيث كانوا يتناغون
بعض غمار القراسيا والشمس الجفجف . وإنهم في الطريق الناعم
تحت الثلوج ، وإذا ببطرس قد أبعد في سيره طلباً للصيد



جميلة تحت ظلال الأرز

JAMILÉ SOUS LE CÈDRES

ملخصة عن قصة طوبى لهرى بورودو

بقلم الأستاذ حلمي مراد

لم يكن يدور بخلدى ، يوم أن رست في الباخرة (لوتس)
في ميناء بيروت ، أن الأقدار قد هيأت لي أن أعود من زيارتي
للبنان بوقائع هذه القاجمة : فاجعة قلبين فرقت بينهما شريعة
الدين ، فجمعت بينهما شريعة الحب . وما كنت لأقص خبرها
لو لم أسمعهما بأذني من فم الرجل الذي كان شاهداً ، بل كان
واحداً من أبطالها ، قبل أن يكون راويها

كنت قد عرفت « خليل خوري » في إحدى قرى لبنان ؛
كان شيخاً مارونياً في نحو السبعين من عمره ، طويل القامة ،
وسيم القسام ، مهيباً في عبادته الجراء وعقاله الأسود العريض .
وكنت قد قضيت اليوم ممة في التجوال فوق قمم الجبال التي
تكسوها الثلوج ، حتى آن لنا أن نستريح ، جلّسنا عند حافة
غابة الأرز العميق ، نشرف من عل على الوادي السحيق ، حيث
يفيض نهر « قاديشا » من بين الصخور التي اصطفت بلون
الأرجوان ، وينساب بين المراعي والقرى وغابات البرقال

وهناك تحت ظل أرزة ساحقة ، باح لي الشيخ الحزين
بسر الذي أقفل عليه قلبه طوال خمسين عاماً كاملة . باح لي به
تحت تأثير إلحاحي الشديد ، وبحت وقر الكتبان الطويل الذي
كثيراً ما يرهق الماشق كما يرهق المجرم الأثيم

قد يبدو غريباً أن ترد قصة غرام جارف على لسان عجوز
في السبعين ، ولكن عزاءه كان أن الاستمراق في الذكري قد
أعاد له - ولو إلى حين - انفعالات الشباب ، فوجد في قلبه ، مرة
أخرى ، عاطفة الأيام الخوالي . المعاطفة التي أحالت واحدة حياته

في الغابة . وبقي خليل وجيلة ينتظران عودته ، وبينما هما يسيران متجاورين ، لست يد الفتي - عفواً - يد رفيقته ... كانت باردة كالثلج ، فأخذها بين راحتيه بدفئها ويعيد إليها الحياة ، رغم أن الدفء والدم قد سريا إليها بعد حين ، فإنه قد استمر أن يبقيا برهة أطول ، حتى قالت له الفتاة ضاحكة : « دعني » فلم يبال رجاءها بل ضغط يدها أكثر ، ثم اندفع فجأة يقبل اليد الرخمة بلا وعي . ظلت الفتاة ساكنة ، لم يرعها هذا الانفعال غير المألوف ، ولكنها عادت بعد برهة تقول له في صوت خفيض : « هيا بنا نمود » ... وراقتها هذه المرة

وحين أبلغها بيتها ، وجدهم قد أعدوا لها نبيذاً دافئاً ، ولكنه كان ثملاً بغير خمر . وتغيرت نظراته إلى جيلة ، رآها بعين الماشق الفاحمة في ثوبها الصوفي الأبيض ، وراح بصره يتملى شعرها اللامع ورقبتها التي في لون الماج ، وخدها الدافق بحويبة مشبوبة ، وعينها الزرقاوين كالبحر الهادئ حين يرى من هامة غابة الأرز في يوم صحو جميل ... ثم صوتها الذي بدا له كأنه لم يسمعه من قبل ، حتى لقد ود لو يذوقه في منبعه : بين شفتيها الحراوين كالفرمز ، وأسنانها البيض كالثلج . وبالاختصار وثب إلى ذهنه إدراك مباغت : أن طفلة قد سارت امرأة .

وعند ما وصل إلى بيته ، سأل أمه في اضطراب : « ألم تحني الساعة بعد يا أمي ؟ » ولم يزد . وفهمت هي مراده بفرزة الأمومة فضحكت وهي تقول : « كما تريد يا بني » ... وفي اليوم التالي سار ثملاً مع أمه إلى بيت الشيخ راشد لخطبة جيلة . وبأمر من بطرس ، وعلى ملا من الأسرتين ، قطف خليل من خدها القبلية الأولى .

ثم جاء الربيع ، وأزهرت أشجار الفاكهة الفواحة الأريج ، ولكن بقية من الثلوج البيض التناثرة ، كانت ما تزال ترى من شرفة بيت الشيخ راشد ، فسأل الفتي واجفاً « متى الزواج ؟ » وأجاب الأب « حين تذوب الثلوج هناك » وكان معنى هذا القرار : الانتظار حتى أغسطس . وهكذا صار الموعد هتاً بحرارة الشمس لا بحرارة قلب الماشقين ... ومن ثم صار الفتي يسرع

إلى الشرفة كل صباح كي يطمئن ... لسكن الشتاء كان قاسياً فطال بقاء الثلوج

وفي ذات صباح جميل ، رأى خليل يمدو كالطفل إلى بيت جيلة وهو يقول : « جيلة ! ... جيلة ! لقد ذابت آخر قطعة من الثلج ... لم يعد هناك ثلوج » وأسرعاً تبعاً إلى الأب ، فقال لها بصوت أغاظتهما رزائته : « ستزوجان ... بعد أن ينفض عيد الأرز »

... وجاء يوم العيد . وأقبلت على غابة الأرز جموع الميدين ، من قرية بشرى وسائر القرى المتناثرة كالمنقود على جانبي النهر ... ثلاثة آلاف نسمة أقبلوا لقضاء يومهم في الهواء الطلق تحت ظلال الأشجار العتيقة ، يستمعون إلى الطقوس الدينية ، ويتناولون طعامهم على العشب ، ويرقصون (الدبكة) ، رقصهم الوطنية الجميلة ... حتى يغيب النهار فيمجدون إلى بيوتهم مع الساء

« وجلس أفراد الأسرتين تحت أرزة وارفة الظل مدت عصوتها فوق رؤوسهم كأنها تباركهم وتحميمهم ... جلسوا جميعاً : خليل وبطرس ووالده الشيخ وجيلة وأختها الصغرى منتهى ، ثم صديقاتهن : آيلة ونالة وراحيل ، وقد خلعت كل واحدة ثيابها الأبيض ونشرته على فرع من شجرة الأرز ... وكانت جيلة تبدو بينهم - وهي متكئة على وسادتها - كالملكة في بلاطها . وأحس خليل بقبضة جارفة . إنها ستفدو له وحده بعد أيام ... وبينما هو مستغرق في الحلم حس له بطرس بلهجة تنطق بالحقد ، وهو يشير أمامه : « مسلمان ! ... ما ذا أتى بهما ؟ ... ما ذا يريدان ؟ وتلفت خليل إلى حيث أشار قرأى - أعرايين شابين يترجلان من فوق صهوة فرسهما المطهين ، وقد بدت ظلماتهما رائحة وقسماتهما وسيمة ... بلحيتيهما الحرداوين ، وعيونهما السمراء التي ترسل نظرات من نار وتقذح بفتنة لا يمكن تجاهلها ... ووراءهما تابعان بحران الفرسين ، ولم يكن الضيفان سوى عمر بك الحسين ، وعبد الرزاق بك عثمان ، من أمراء عكار ، جاءا ينشدان النزهة والترويح عن النفس .

دأب الشبان على تقليد البصر في وجوه القوم ، حتى استقرت نظرات عمر بك على جيلة ، وثبتت عندها . لم يحس

الحديث : امتدح الشيخ فرس عمر ، فقال هذا : « عندى أختها وتدعى سلمى . سأحضرها لك إذا شئت » ورحل الفارسان ، وعادت الأسرتان إلى القرية

وفي أثناء الطريق سار خليل وجميلة متجاورين ، صامتين كأن عتاباً خفياً يلجم لسانيهما ، وحين جلس خليل إلى مائدة العشاء — في بيتها — وجد على مقدمه غلافاً صغيراً فضه في غفلة السيون ؛ فإذا فيه خاتم الخطبة وكل ما أهدها إليها من حلل !

تحطم قلبه بفتة ، ولكن أحداً لم يلحظ شيئاً ، فإن القلوب لا تحدث صوتاً وهي تتحطم . ووجد في نفسه القوة على الكتمان . وفي اليوم التالي لقياها في الحديقة ، وجلسا معاً عند النافورة ، فكانت جميلة ترمقه بنظرة مشفقة ألينة ، ثم تنفض بصرها إلى ذرات الماء المتساقطة من النافورة في الخوض ... وجرى بينهما عتاب رقيق حزين كنفسيهما . سألهما خليل : « إنك لم تمودى تحبيننى ؟ » وكان زائغ النظرات ، ففضت من بصرها ثم أجابت بعد حين : « هو ذاك » وعبثاً حاول أن يطرد من قلبها شبح عمر ، فإنه كان قد احتله وتحصن فيه . وافترقا على أمل براود خليلاً ، بأنها ستفنى الريب مع الأيام .

لم يمض يومان حتى عاد عمر ومعه الفرس التي وعد بها أبا جميلة ، وأعجب بها الشيخ راشد فسأل صاحبها عن الثمن ، ولكن عمر أهله قائلاً له في لهجة حازمة : « سأحدد لك الثمن ... في الغد » وعبثاً ناقشه الشيخ فإنه أصر ، وإزاء إصراره وتحت ضغط الحرج والشهامة والكرم ، دعاه الشيخ إلى قبول ضيافته وقضاء الليلة تحت سقفه ... فقبل عمر !

ما ذا حدث بعد ذلك في ضمير الليل ؟ لم يدرك أحد ... حتى أفاق خليل من نومه في الصباح مذعوراً ، على صوت بطرس يبلغ إليه النبا : إن الضيف قد فر ، وجميلة قد اختفت ... هل فرت معه طائفة ، أم خطفها ؟ من يدري !

وبعد ساعات كان بطرس و خليل مجتمعين صهوة سلمى فرس عمر ، في طريقهما إلى بلدته (هكار) ... وراح قلب

خليل يديب الفيرة في بادىء الأمر ، ولكن النظرات طالت ، فبدأ الدم يصعد إلى رأسه . إن الريب قد اجترأ على فتاته ... أليست هذه إهانة للمارونيين جميعاً ؟ وأخذ الاحتياج يمزجه ، ولكنه كتمه وعاد ينظر إلى جميلة . كانت قد اضطجعت على وسادة ناعمة ، في وضع أظهر فتنها صارخة ، وكان شعرها يحترق كتنفها ، وشمع من الشمس قد انساب من بين الفصوص فوق على خديها وطلاها بلون الذهب أو الحنطة . ترى هل تم هيئتها عن احتقارها لجرأة الريب ؟ ولكنها تنظر إليه بدورها طائفة ، وعيونهما تتقابل . وأحس خليل أن عاصفة تجتاح نفسها وتمكر البحر الصافي في عينيها ، حتى لتبدو عليها سمة الفتاة حين تسلم كيائها لانفعال حاد ، وخيل إليه أن عاطفتها الناعمة من نحوه قد تبددت ، جرفتها العاصفة العاتية التي أمارتها في أعماقها نظرات عمر . ومن ثم أحس الفتى بحمله يتبدد رويداً رويداً ، ويحلقه نجف ، فود لو يستفيث ، لكنه لم يجد صوته . إن نظراتهما ما تزال متقابلة في غير مبالاة بالجموع النفيرة التي شغلها الطعام أو شغلها الغفلة والنباهة عن التنبيه لما يجري . وأخيراً أفاق الماشق المذنب من غمرة أفكاره على صوت بطرس يسأله وهو بهز كتفه مراراً : « ما بالك يا خليل ؟ » فأجابه دون وعي : « إنها تنظر إلى الريب » ونحملك بطرس في سخرية ، واحمرت وجنتا الفتاة ، لأنها لا شك سمعته !

فرغ القوم من الطعام وبدأت رقصة (الديكة) بعد حين ، فرقص بطرس مع الجموع ، ثم نهضت جميلة ، فأخلى الكل الحلقة لها ووقفوا حولها يتفرجون في شغف ، وراحت هي ترقص وحدها في خفة الطير ، وكأنها من فرط رشاققتها لا تلمس الأرض . كان ذراعاها البضتان تدوران في الهواء ، واتخذت بشرتها لون أحجار (بمليك) حين يقرب عليها النهار . وفي كلمة ، كانت كآلهة الشباب والجمال والحب ، ثم فرغت من رقصتها بعد حين ؛ وتقدم خليل ليهنئها ؛ فإذا بها منشغلة عنه بتلقى نظرات الأعرابي الجميل . واقترب والدها يرحب بالضيف ، وطال بينهما

الماشق المدنف يتاجى طيف محبوبته « جميلة ! ... أين أنت الآن ؟ ترى هل يقع بصري عليك بعد اليوم ، فأرى عينيك في لون البحر الهادي تحت أعتاب الجبل ، وأرى خديك الناضرين ورقبتك التي في لون العاج ، وذراعيك ، وشعرك ... شعرك الجليل ... إن الطل لا بد قد بلله ليلة أمس ، وأنت تحيطين بدن عمر بذراعيك فوق صهوة الفرس وهي تمدو بكما مناسبة بين الجبال في الظلام ... جميلة ! جميلة ! إنني آث في ظل إثمك أتبعك ... ألا تسمعينني يا جميلة ؟ » لكنها لم تسمع ، فإن أسوار قصر عمر في (عكار) كانت غليظة وعالية !

وبعد أيام خرجت عكار عن بكرة أبيها إلى الطرقات ، وازينت ، كي تحتفل بزفاف المارونية التي أسلمت ، وكى تراها وهي تمبر شوارع البلدة في هودجها الفاخر يتهادى بها . وبينما كان الركب يخترق أحد الشوارع كان خليل وبطرس واقفين يستمرضانه في صمت وغيظ . وحين مر بهما الهودج وجميلة في داخله تبسم جذلة ، امتدت يد بطرس إلى غدارته ، وهم بإطلاقها ، لولا أن أقنعه خليل - والدموع في عينيه - بأن يعرب فأنه يريد لها حية ؟ وارتدت يد الأخ القاضب لشرفه . ومر الركب بسلام . ومضى التمسان مبتئين ، والحنق يحفف حلقهما ويضن عليهما بالبكاء .

وحين بلغ الوكب القصر ، وضم عمر عروسه إلى صدره ، كانت ظلال خليل وبطرس قد اختلطت بالظلام الذي يرين على الطريق ، حتى إذا كان الغد ، عادا أدراجهما إلى قريتهما

ومضت أيام وأسابيع وشهور ، والغضب للشرف ما يزال يتأجج في صدرهما وفي صدر الأب الحزين (الشيخ راشد) فإنهم جميعاً لم يكونوا قد طلقوا عزيمتهم على استعادة جميلة بأي ثمن !

وبعد سبعة شهور من الزفاف ، وفي أوائل الربيع ، عاد خليل وبطرس يتحدران بين غابات الصنوبر والأرز ، في طريقهما إلى (طرابلس) ، فقد أتاهما النبأ أن جميلة وعمر قد انتقلا إلى قصر آخر له هناك

ولم يطل بمحبتها عن ضالتيهما ، فقد اهتديا سريعا إلى القصر الباذخ ، حيث تعيش العاصية ، كآفة بشرية العشيعة ، مؤمنة بشريعة الهوى

وبعد أيام - ومن نفس الطريق - عاد الشابان بصمدان الجبل إلى قريتهما ومعهما في هذه المرة ... جميلة ! فقد وفقا إلى اختطافها أخيراً

وفي (بشرى) انعقد مجلس الأسرة لمحاكتها ، واعترفت التمسة بكل شيء : اعترفت بأنها قد قرت من كنف أسرتها مختارة ، وطلقت دينها مختارة ، وتزوجت من عدو عشيرتها ... مختارة أيضاً

وصدر حكم الأسرة عليها بالإعدام . ووكل أمر التنفيذ إلى أخيها بطرس .

كم بكى خليل ، حين انفرد بالعاصية بعد صدور الحكم ، وكهم أجهد أعصابه وهو يفتن عن حبها لعمري ، محاولاً إقناعها بأن تشتري حياتها بالزواج منه هو ... لكنها أبت في إصرار ، وزاغت تتطلع إلى بعيد وقد رقت نظراتها وبدت كالحالمة وهي تقول بصوت حنون : « إنني أودرجي ، فأنت لا تعرف حبيبي » ودق الباب ، ودخل بطرس - جلادها - فبكى خليل ، وإذا بها ترمقه بنظرة أوهنها الإشفاق ، ثم تقول وهي تضع يديها على كتفيه : « كن شجاعاً يا خليل ... فلست بخائفة ... وهل يعرف الخوف من يعرف الحب ؟ »

ثم ذهبوا بها وقد انتزعوها منه بعد أن أوصدوا عليه للباب وحين تمكن من اقتحامه ، بعد لأي ، مضى كالمجنون ، يمدو باحثاً عنها ... حتى وجدها تحت شجرة أرز ... مذبوحة ! ولم تمض أيام حتى لحق بها زوجها عمر . قتل نفسه على قبرها ، بعد أن أوصى بأن يدفن معها في نفس القبرة ... القبرة التي ما تزال قائمة حتى اليوم خارج بلدة طرابلس ، والتي ما تزال تظهر على أحجارها أحرف محفورة بخط عربي جميل ... أحرف اسمي : عمر وجميلة .

علمي مراد
المحامي